

ان المغرب شهد بداية ثورة . طغنت الثورة واجهضت ، فحل محلها ثورة مضادة : الثورة الاولى هي ثورة الشعب والثورة الثانية هي ثورة الملك

20 غشت 1953

للسّوطيف السّابغ لخدمة المصالح الزاينة

عن القواعد العسكرية المراقبة على
القراب المغربي . بل ان الملك ساوم
بالسيادة الوطنية على جميع مستوياتها
الاقتصادية والثقافية والسياسي
والديبلوماسي .. استعاد المغرب الرمز
من الاستقلال ، واستبقى الاستعمار
بالمساومة : المحتوى الجوهرى
للاستقلال .

واذا كان لا بد من اعطاء مغزى
لذكرى ٢٠ غشت ، فهذا هو مغزاها
الحقيقي . ان الحقبة الفاصلة ما بين
٢٠ غشت ١٩٥٢ و ٢٠ غشت ١٩٨٠ ،
انما هي امتحان للمقاومة كسلوك نضالي
مرتبط مصيره بمصير الشعب ، ولا
للمقاومة كاحتراق . كان هدف
المقاومين بالاسم هو اعفاء الشعب من
ظقيان الخونة ، وتخليصه من استغلال
الاستعمار الاجنبي . وهذه المهمة باقية
على عاتق المقاومين الذين اختاروا
السلوك النضالي ، لن تنتهي الا
بالوصول الى الهدف : اعفاء الشعب
والوطن من التآمرين على سيادته
والمساومين على ارادته ، وتكوين
المنحرفين عن اهداف المقاومة وجيش
التحرير ، وفرض المناضلين الصامدين
من السامسة والمساومين مع الاستعمار
وعملاته اليوم كما كان الشأن بالاسم .
ان ذكرى ٢٠ غشت ينبغي ان
تكون عبرة ، والعبرة ان المتطلق كان
يحمل في طياته بذور الانتكاسة
(" فالسم في ذاك العمل ") كما يقول
المثل ، وكل ثورة تحمل عوامل
الاجهاض في احشائها ، وينطبق المبدأ
على الانطلاقة المسلحة المغربية .
والمفامرون هم ضعيفوا الايمان وسحبوا
الذات الذين يراهنون على التحالف
مع الاستعمار للتآمر على سيادة الوطن
وسيادة الشعب بدون تردد . ان التنازل
لمصالح اعداء الشعب هو المغامرة .

شعار الملك كرمز مقرون بالوطن
لانطلاق حركتهم المسلحة . في هذا
الوقت بالذات كان الملك يساوم
الاستعمار بالوطن ، بل ان الملك
— والادلة التاريخية شاهدة على
ذلك — كان يساوم بكرامته الشخصية ،
مقابل البقاء على عرشه .

ساوم الملك بعد نفيه من اجل
الابقاء على شخصه ، ثم ساوم من اجل
مجرد ارجاعه من جزيرة مدغشقر
الى فرنسا ، لم يقبل الشعب المساومة
في فصل سيادة البلاد واستقلالها عن
الرمز الذي رفعه كشعار لذلك . لم
يقبل الشعب المساومة مع الاستعمار في
الملك ، لان مجرد القبول بذلك يعتبره
ساسا بالسيادة الوطنية ، وخدعة
القصد منها تفكيك جبهة النضال
المتصاعد المحتدمة . فلما استفحلت
الايّواض ضد الاستعمار في جميع انحاء
المغرب العربي بعد اندلاع الثورة
الجزائرية المظفرة في نهاية ١٩٥٤ ،
عمد الاستعمار ، طلبا للخروج من الازمة
الى وسيلة العمل : للمساومة مع الملك .
فقبل الملك المساومة .

ساوم الملك بخيانة لكلاوى
وتصالح معه ، وعشى في جنارته ...
ساوم في ايكس ليبان بكل شيء . . . ساوم
بوحدّة النضال على مستوى المغرب
العربي . ساوم الملك بالاراضي المحتلة
في ابغني وايت بعمران ، وسأوم
بالتآمر على جيش التحرير مع
الاستعمارين الفرنسي والاسباني . ساوم
الملك بتحرير الصحراء ، وسأوم بالجلال

مضى ربع قرن من الزمن منذ
ان أعلن استقلال المغرب الشكلي
سنة ١٩٥٦ . ربع قرن في تاريخ البلاد
شيء قليل ، الا ان ربع قرن في ذاكرة
الجيل زمن طويل مليء بالتطوعات
والامال والنكسات والمآسي .

ورغم ذلك فلا يزال المغرب كما
كان : تصاعدت بعض الارقام وانخفض
بعضها ، اضطردت بعض النسب المتوية
وتضائل بعضها الاخر ، ازداد عدد
السكان فتضاعف الاستغلال والشقاء مع
ازديادهم ، ازداد الوعي فتصاعدت
حنّة الجماهير الشعبية .

مضى ربع قرن من الزمن على
استقلال البلاد ، ولا يزال المغرب
عرضة لازمة هيكلية نظامية محتدمة .
صار الاستقلال شكليا ، وبقيت
خيرات البلاد وطاقات سكانه فريسة
وعروضة للاستعمار وحلفائه المحليين
من طبقة فاسدة مكونة من كبار الملاكين
لاقطاعيين والبورجوازيين الطفيليين
الذين خلفوا المعمرين في ادوارهم
الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ،
التابعين لمصالح الاستعمار الاجنبي ،
والراصدين لقات النهب المنظم
لخيرات البلاد ، بتواطؤ مع النظام
الافتعاعي الملكي الذي خلف في
الجوهر نظام الاستعمار الاجنبي .
مضى ما يربو على سبعة وعشرين
عاما منذ اندلاع المقاومة المسلحة في
المغرب ضد الاحتلال والاستعمار .
ففي ٢٠ غشت ١٩٥٢ ، تحديا
للاستعمار ، رفع المقاومون الايطال

وعبثا يحاول المغامرون تسويق مغامرتهم بالإصلاح والاعتدال، لأن الإصلاح والاعتدال يستلزم مواقف متلاحقة من الجانبين. إن المغامرة تكمن في تأييد الجور والتواطؤ مع الطغيان والظلم. إن نجاح التضحيات ثورة وبطولة، وفشل التضحيات لا يعدو أن يكون عثرة ونكسة وخسرانا ظرفيا مؤقتا. إن الغربة غنى للنضال في تعميقه كما أن تهمة الشعب للقبول بالتضحية هو السبيل لتحقيق أهداف النضال، والمغامرون وحدهم هم الذين يتساقون لجعل الفشل مناسبة لتعميق السياس.

ومع ذلك فلا مناص من الاعتراف بأن تشبثنا بمظهر "الرمز" في أوائل هذه الحقبة، ساعد الاستعمار على الاعتداء إلى الثغرة في خصلتنا. فقد جعل من نقطة ضعفنا هذه، هدفا لتطبيق سياسة الاستعمار الجديد. فكان بذلك مقتل للمحتوى.. كما أن نقطة الضعف هذه، كانت مدخلا لتدشين سياسة التعامل بالشكل مقابل الاحتفاظ بالجور: أعطانا الاستعمار ملكا، وأخذ مقابلته السيادة الوطنية. تحدينا الاستعمار، فأرضى غرورنا. سلينا الاستعمار جوهر هدف نضالنا مقابل ثمن شكلي للتحدى.

أدينا الثمن غالبا: كنا في الطلمية وتقهقرنا إلى أماكن الخنوع في الصف. كنا نناضل على مستوى المغرب العربي والإفريقي، فأصبحنا في مؤخرة القافلة العربية والإفريقية.

إن خطانا القاتل كان أن تنازلنا عن القيادة السياسية باعتبار أنه يمكن الفصل بين الفكر السياسي والعمل الصالح: التناقض بين البندقية والعمل السياسي. أنزلق العمل السياسي إلى صف الاستعمار، وبقي العمل المسلح عبارة عن ورقة للمساومة والضغط في اللعبة السياسية. أصبح العمل المسلح بعد انتهاء الصلقة عاملا مناقضا ومحرجا بالنسبة للقيادة السياسية والحكم والاستعمار معا. فقد

وقع تحالف جديد تولى فيه الاستعمار الجديد دور القيادة، حيث احتفظ بالجور وأناط القيادة السياسية الدور القانوني الشكلي كمظهر خارجي، أما القاعدة الشعبية فلم يخصص لها ضمن التحالف الجديد حتى دور الملاحظ أو الشاهد، وعوض ذلك خصصت عمولات لتزكية الخطط من طرف من يقبل به من أعضاء المقاومة، فكانت رضى النقل والاستثمارات التجارية ثمن امتحان المقاومة وروح النضال، وقيمة تفويت وتنازل الشعب عن حقه في مصيره.

إن المقاومة أمانة مقدسة من الشعب، لا يمكن تحريرها وتزبيها قصد توريثها في عملية تفويت حق الشعب دون السقوط في صف التآمر والمغامرة. ومن واجب المقاومة كسلوك، أن تتصدى لهذه المواقف التي تستهدف رصيدها الشعبي لتفضحها وتدينها بدون تردد. فلا بد من التفتيد بموقف انقلب من التضحية من أجل الشعب إلى التضحية بالشعب مقابل مغنم شخصية دفعت عمولة مقابل هذا الانحراف. إن تهريب نضال المقاومة برجوع الملك تزيف وتحقير لتضحيات أبطال المقاومة، كما أن اقحام مفهوم "الرزانة" و"الحكمة" في هذا التعامل، كتغطية، يهين من باب الخساسة والرذيلة والخدعة. فالحقيقة الصارخة طيلة هذه الحقبة أن صيغة تحالف الاستعمار والاقطاع أدى إلى المزيد من النهب والزيث في خيرات الشعب لتفترام وتتكدس ثروة لبعض المحظوظين الذين لا تتجاوز نسبتهم الخمسة بالمائة، وإن ازدادات نسبة المسامرة، فإن القسط المخصص لهم من نهب خيرات الشعب ثابت لا يتحرك.

وما مظاهر الديمقراطية والليبرالية - وغيرها من المظاهر البراقة - إلا برامج تسلية ميزانياتها من هذا القسط المخصص للمسامرة على شكل الرشوة والقمع والاحتياط. وما القداسة المضروبة حول الحكم

الاقطاعي إلا حزام وقائي ضد كشف هذه الحقائق. والحقائق بالنسبة للشعب واضحة مكشوفة وأن جند المستغلبون كافة امكانياتهم، وعبؤوا كل جهودهم لانجاح استثمار التضحيات الشعبية. غير أن ذلك لم يتم، ولا يمكن أن يتم الا بتكريس الشقاء والاضطهاد والاستغلال، فليس من التجني على الحقيقة في شيء، ولا الذهاب إلى مواطن المبالغة، أن يعترف المرء باختصار أن الطرب شهد بداية ثورة. طغنت الثورة وأجهشت، فحل محل الثورة ثورة مضادة: الثورة الأولى هي ثورة الشعب والثورة الثانية هي ثورة الملك.

أما "ثورة الملك والشعب" فهو تعبير مزيف غير ذي معنى. فتعايش الثورتين مستحيل، لأن الوحدة محل محل الأخرى وتقوم مكانها. فلا تعايش ولا تساكُن بينهما.

ومن رأى ملكا ثائرا قاد شعبا إلى الثورة في التاريخ القريب أو البعيد؟ وعكس ذلك فإن الحقائق التاريخية تجمع على أمثلة لا حصر لها من ثورة شعب ثائر ضد ملك خائن جائر، وليس من الصدق أن يتوجه الاستعمار الفرنسي - الذي استخلص هذه العبرة من تاريخ فرنسا الحافل بهذه الأمثلة - بالمساومة إلى الملك واختيار جانبه ضد الشعب المغربي. وليس من التكرار في شيء، بل للتركيز على حقيقة كان أولى بالحركة الوطنية المغربية أن تستوعبها، أن تذكر بموقف البطل عبد الكريم الخطابي الذي ربط في خطته الثورية - والتي هي في الحقيقة تطوير للتقليد الثوري في المغرب - النضال ضد الاستعمار بالنضال ضد الحكم الملكي. وقد مارس عبد الكريم لذلك القيادة السياسية والثورية، لأن التقاطع بين القيادتين ينتج عن القرباط المتين بين الوعي السياسي والوعي الاجتماعي.

محمد البصري